

الجسد في التجربة الشعرية الجزائرية الجديدة

د.بودية شهيانز

جامعة سيدي بلعباس

ملخص:

الملخص :

من المقومات الأساسية التي كتب بها الشعراء القدامى والمعاصرين والتي فرض توفرها في الجمال هي "الجسد" لما يحوي من أبعاد دلالية على الصعيد الأدبي والثقافي، هذا الجسد الذي وظفه الشعراء والأدباء في مؤلفاتهم لتقود آفاقهم الدلالية التي تقوم بالتأثير على النفس الإنسانية من خلال لغتها بأغراض استعملها الشعراء في نصوصهم الإبداعية ضمن غرض الغزل الذي لجأ إليه الشاعر للتعبير بلغة الجسد كونها اللغة التي تصدرت العصرين الجاهلي والإسلامي وتذهب إلى غزل عذري ويظهر مصطلح الجسد كحقل دلالي داخل البناء الشعري.

الكلمات المفتاحية: الجسد ، التجربة ، التجربة الشعرية الجزائرية

Summary:

One of the basic foundations in which ancient and contemporary poets wrote and which imposed their availability in beauty is the "body" because of its semantic dimensions on the literary and cultural level, this body which poets and writers employed in their literature to lead their semantic prospects that affect the human psyche through its language For the purposes that poets used in their creative texts within the purpose of spinning, which the poet used to express in body language being the language that came to the fore pre-Islamic and pre-Islamic times and goes to virgin spinning and the term body appears as a semantic field within the poetic

Key words: the body, the experience, the Algerian poetic experience

ورد في لسان العرب من مادة (ج س د): «جسم الإنسان ولا يقال لغيره من الأجسام المتعدية (...) والجسد دمٌ والجسد به الدم يجسَد إذا ألصق به والمجسد الثوب الذي جسد المرأة فتعرق فيه»¹.

يُطرح الجسم كموضوع الشكل له قيمة كمضمون يشكله مجتمع معين ورموز معينة، «فالجسد بناء رمزي وليس حقيقة في حد ذاتها من هنا عدد لا يحصى من التصورات التي تسعى لإعطائه معنى وسبب طبعها الغريب والشاذ والمتناقض من المجتمع الآخر»².

فلكل مجتمع رموزه الخاصة والتي يستعين بها الكاتب أو الأديب أو الشاعر في إبداعاته رابطاً بذلك الجسد الذات والجسد كموضوع مدركاً توقعه في تلك البيئة الاجتماعية، تقول فاطمة الوهبي: «والشاعر إذ تمتد يده لفضاء الورقة وأفق المكان يزاحم بجسدين بجسده العياني الإنساني وبجسده اللغوي المتشكل»³.

يشغل الشاعر في نصوصه برموز وصور تطول مخيلة القارئ العربي مصيباً بذلك مراده أو بغيته التي يصبو لها ضمن حيز خاص لهذه الهوية العربية، «إن الصورة التي يرسمها أي مجتمع للجسد ومكوناته تستمد عناصرها من الرموز السائدة في هذا المجتمع، تلك الرموز تحدد الوظائف التي يقوم بها الجسد»⁴.

حاول الشاعر الجزائري التحرر من جميع أنواع القيود والتي كانت تضيق به، فكتب في فترة عصيبة موظفاً الجسد ودالاً بذلك على التحرر بكل أشكاله ووسع في مجال الكتابة بلغة الجسد، فكتب الشاعر محمد عبد القادر السائحي قصيدة تحمل عنوان "سؤال":

قِفْ بِنَا فِي سَاحَةِ الْقَصَبَاءِ "نُرْوِي النَّظْرَاتِ"
لِنَرَى أَحْسَنَ لَوْنٍ مِنْ جَمَالِ الْفَاتِنَاتِ
فِي الْحِسَانِ الرَّائِعَاتِ الْغَادِيَاتِ الرَّائِحَاتِ
ثُمَّ دَعْنِي أَنْظُرَ الْحُسْنَ بَعَيْنِ الضَّاحِكَاتِ
يَا لِذَاكَ الشَّعْرِ الْكَثِّ وَتِلْكَ اللَّفَّاتِ
يَا لِسِحْرِ مُشْرِقِ كَالنُّورِ خُلُوَ الْقَسَمَاتِ
يَا ابْنَةَ الْحُبِّ خُذِي مِنْ شَاعِرِ الْحُبِّ وَهَاتِ
وَدَعِينِي أَنْشُدُ الشَّعْرَ وَسِرَّ النَّظْرَاتِ
فِي الْغُيُونِ الْوَاجِمَاتِ
فِي الْخُدُودِ النَّيِّرَاتِ
فِي الْوُجُوهِ الْخُورِ فِي دَعْكِ الْغُيُونِ الْحَالِمَاتِ
فِي النُّهُودِ النَّائِرَاتِ فِي الْقُدُودِ الْمَائِسَاتِ.⁵

يذهب الشاعر بمخيلته إلى وطن متحرر من دون سلطة المستعمر فيقول: "قف بنا في ساحة القصباء "نروي النظرات"، وكأنه يتخيل ساحة القصباء من دون جنود فرنسيين، ويقول "لنرى أحسن لون في جمال الفاتنات في الحسان الرائعات الغاديات الرائحات" في تلك الفترة كان محظوراً على البنت أو المرأة الجزائرية الخروج والتجول ويكشف من الصور المتخيلة وكأنه يريد تحقيق ذلك بشدة وتنتج عن هذا التخيل التنفيس عن المكبوتات التي بداخله، ويذهب الشاعر إلى التفاصيل الدقيقة الجسدية فيقول: "بعين الضاحكات، يا لذاك الشعر الكث وتلك اللففات، حلو القسمات، في العيون الواجمات، والخدود النيرات، في الوجوه، في النهود النائرات، القدود المائسات" صوّر الشاعر بلغته الجسدية الحركة ليتفاعل مع المتلقي وهو يعتمد توظيف هذه اللغة لترك الأثر على النفس مستدعياً بذلك المدركات الحسية والحركية ليفتعل حواراً بالجد بواسطة دلالات يفصلها الجاحظ قائلاً: « في الدلالة باللفظ فأما الإشارة باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف...»⁶.

قيلت هذه القصيدة في سنة 1954 في مرحلة كان يمر الشعب فيها بالإحباط والذل، يضع الشاعر في قصيدته صوراً تدعو إلى التحرر بطريقة رمزية بالجسد تغني فيها بجمال المرأة التي تمثل الجزء البهيج والمضيء من هذا الوطن المظلم.

وبفعل الحركات والتجارب الشعرية الجديدة التي اندفع فيها الشاعر الجزائري متخطياً تلك وكذلك تريد من فاعلية جمالية نصوصه.

نهج الشاعر لغة تواصلية جسدية حديثة بطرق اختلفت وتنوعت بين الرموز والإيحاءات والإيماءات من خلال دلالات تربطه بمجتمعه.

يعتبر الجسد من أهم القضايا الفكرية والثقافية وكذلك درجة الوعي به في ظل تغير المناخ الثقافي الذي لا يثبت، طرح الشاعر الجزائري موضوع الجسد بطريقة غير معهودة وتحريره لنصوص شعرية مختلفة وجديدة بتحدي عالي للمتلقي الواعي الذي يستوعب هذه الحركة الشعرية الجمالية التي تتأسس حول الجسد.

إن محاولة الشعراء الخروج من الانطواء إلى العالم لممارسة تشكيلاته الجديدة على عالمه الخاص الأدبي الاجتماعي الثقافي، ولربما يمكن أن نقول أن للشاعرات الجزائريات الريادة في الكشف عن هذا الجانب في تجربة مجموعة من الشاعرات جمالية الجسد في النص وتحقيقه في التعبير بوصف مختلف أجزاء الجسد.

تقول نادية نواصر:

إِنَّهُمْ يُطْلِقُونَ الرِّصَاصَ عَلَى الشَّاعِرَةِ
إِنَّهُمْ يُحْرِقُونَ...

شِفْرَهَا

يَسْلَخُونَ

جِلْدَهَا

يَذْبَحُونَ قَلْبَهَا

يُنْهَشُونَ...

صَدْرَهَا...

يَغْرِسُونَ الرِّمَاحَ فِي

الْوَرِيدِ الدَّقِيقِ

إِنَّهُمْ يَرْكُضُونَ بِحَوَافِرِهِمْ.⁷

تستغل الشاعرة الجسد بكل أجزائه لتصوير أنواع الألم والتعذيب الذي تتعرض له المثقفة فنقول: "إنهم يطلقون الرصاص، يحرقون، يسلخون، يقطعون، يذبحون، ينهشون" كلها مفردات دالة على العذاب الجسدي وهي تلمح بذلك إلى سوء المعاملة أو ربما الاتهامات فتلاقتها عكستها في قصيدتها من ممارسة شتى أشكال التعذيب الجسدي، إذن هي رموز لغوية أدبية تعبيرية انتهجتها الشاعرة لتوصيل فكرتها أو مدى معاناتها.

ومرة أخرى تعبّر الشاعرة نادية نواصر في ديوان آخر في قصيدة "انتظرتك يا مهرة الروح" تقول:

أَنَا أَنْتَظَرْتُكَ يَا مُهْرَةَ الرُّوحِ

فِي بَابِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ

وَكُنْتُ أَعُدُّ لَكَ نَخْلَةَ الْقَلْبِ

مِنْهَا تَدَلَّتْ عَرَاجِيئُ تَمْرِي وَشَوْقِي

أَفْرِشُ أَعْشَابَ صَدْرِي

كَيْ يَغْبُرَ مُتَشَبِّحاً بِالْمَعَانِي الْجَمِيلَةِ

وَيُنْحُو عِشْقِي
مِنْ رِيحِ هَذِهِ الدُّرُوبِ الظَّلِيلَةِ
أَنَا أَنْتَظَرُكَ
لِنَعْرِفَ هَذَا النِّشِيدَ الْجَمِيلَ.⁸

يبدو لنا من خلال هذه القصيدة أن الشاعرة ترسم شوقها لحبيبها الذي تنتظره لتقول: "كنتُ أعد لك نخلة القلب منها تدلت عراجين تمرى وشوقي" وهي تعبّر بشدة عن شوقها لحبيبها، وظفت القلب الذي شُبّه بالنخلة التي تتصدى للزمن وتعمّر وتصف طول الانتظار بعراجين التمر التي تدلت من هذه النخلة (القلب)، ونقول في مقطع لها "أفرش أعشاب صدري" الأعشاب تعني الخصوبة الخضار الأمل والحب وكأنها تهییء لحبيبها الأجواء الجميلة الهادئة، وصورة جميلة وضعتها الشاعرة "كي يعبر الصبح متشحا بالمعاني الجميلة" تبدو لي أنها شبّهت حبيبها بالصبح الذي يطلع بقطرات الندى وكأنه يسقي العشب وهي العشب الظمان الذي انتظر الصبح المملوء بالندى متشحا بالمعاني الجميلة أو ترتوي هذه الشاعرة المشتاقة "وينحو عشقي". وضعت الشاعرة صورة مرئية ساكنة وظفت فيها بعض أجزاء الجسد هما القلب والصدر لتمثيل حالتها. من الكتابات النسائية قصيدة للشاعرة حنين عمر جسدت معاناة أهل بغداد فهيكلت الجسد الذي يعتبر بؤرة يجسدها الواقع وتشحن به نصها بطاقة فنية وإبداعية، تقول "القصيدة البغدادية":

بَعْدَادَ قَدْ خَطَبَ الْبُكَاءُ مُحَاجِرِي زَوْجَتُهُ... وَالْمَهْرُ مِنْ آهَاتِي
مَخْذُولَةٌ شَفَتَايَ مِنْ وَجَعِ مَضَى مِنْ مَلَحِ دَمْعِي فِي لُظَى قُبْلَاتِي
قَدْ غَرَّبُوكَ وَغَرَّبُوا أَطْفَالَنَا بَيْنَ الْمَنَافِي عِشْتِي كَمَمَاتِي
ذَلِكَ الْحَنِينُ لِتَشْرِيبِهِ وَتَسْكُنِي كَأْسًا يُنِيرُ إِذَا انْتَشَى ظُلُمَاتِي.⁹

بلغة الحزن تكتب الشاعرة عن بغداد وتستند في كتابتها عن حزنها لهذا الوطن إلى مرجعية الجسد الذي يعدّ الكثيف والغامض والرمز وربما لتضفي على نصها فضاءً جمالياً، كما أن الجسد هو بنية قائمة بذاتها فتقول: "البكاء محاجري، زوجته، شفتاي، قبلاتي" تُسقط بذلك تلك المآسي التي يعيشها أهل هذا الوطن على ذاتها ونُقِله لتحقيق رغبتها بالكتابة بلغة الجسد.

تمثل الشاعرة "زينب الأعوج" في قصيدتها بالجسد ذلك النبع الذي استقت منه ألفاظها لتحكي عن تفاصيل تعيشها المرأة في حياتها قائلة:

فِي الرُّبْعِ الْخَالِي
هَاجِرُ تَنَسَّفِ الرَّمْلِ
تَطْحَنُ الدَّاتِ
دَمْعًا يَقْطُرُ غُصَّةً
تُفْتِتُ مَا تَبْقَى
مِنْ لَحْمِهَا
رَغِيفًا نَاشِيفًا

لِوَحِيدِهَا
 أَنَا الْمَرْأَةُ... الْمَرْأَةُ
 أَمِيرُكُمْ
 يَدَاهُ بَرِيَّتَانِ
 مِنْ دَمِي
 فَقَدْ دَبَحَنِي
 لَمَّا أَزْهَرَ
 قَلْبِي نَوَّاراً
 عَلَى عَشِيرَتِهِ
 مِثْلَ
 الْجَدَائِلِ
 شَعْرَةً شَعْرَةً
 الْحَنَاجِرُ مَبْخُوحَةٌ
 خَطَفْتُمْ خُنْجُرَتِي
 أَحْرَقْتُمْ أَزْهَامِي.¹⁰

تقوم الشاعرة بسرد تضحيات تقوم بها الأنثى وتمثل بذلك قصة السيدة هاجر وهي في الصحراء مع وحيدها إسماعيل في صحراء مكة القاحلة وهي تبحث عن الماء والزاد لطفلها فتصعد جبل الصفا وتنزل وتصعد جبل المروة فترسم المشهد: "تطحن الذات دمعاً يقطر غصة" وربما عن تضحيات أخرى تقوم بها الأنثى ولو على جسدها، وتمثلها أيضا في مشهد شعري وتركيب لغوي يدل على تحمل جسدها الأعباء. ومع لغة الجسد تكتب الشاعرة وسيلة بوسيس عن حلك الصبايا في قصيدتها "أحلام الصبايا":

فِي الْحَيِّ
 بَنَاتٌ يَخْلُصْنَ
 بِضَرَاوَةِ شَوْقِ الْأَعْرَاسِ
 بِمَوَاقِبِ يَلْقَى فِي حَضْرَتِهَا النَّاسُ
 فِي الْحَيِّ بَنَاتٌ
 يَرْقُصْنَ
 فَتَنْثُورُ الْأَرْضُ
 وَتَشْتَعِلُ الْأَجْرَاسُ
 الزَّهْرُ مَلَأَ الْمَحْمُومَاتِ
 تَضْحُو بِالْقَلْبِ سَحَابَتُهُ
 حَجَرٌ تَنْشَقُّهُ الْأَنْفَاسُ

يَحْلُمَنَّ بِصُنُوفِ اللَّذَّةِ
وَحَوَاتِمِ مَنْ مَاسِ
يَتَعَرَّيْنَ
وَلَيْلَ الرَّفَّةِ مُصْبَاحُ.¹¹

لعلّ الشاعرة تتحرّر بنفسها وتسرد أحلام الصبايا التي تبقى بسيطة، في الرقص، وبمجوهرات لتزين أصابعهنّ والتعري هي أحلام في الواقع تراه الفتيات ظالم سلمي يرفض أو لا يستوعب الأحكام فتعبر عن ذلك في أحلامها: « إذا كان للجسد لغة فهي تلك الكلمات أو الرموز الخارجية التي يكتسبها من ثقافته لأنّ الكلمة الإنسان والإنسان هو الكلمة بعينه يستعمل في التعبير عن ذاته الكثير من مفردات اللغة وحركات الجسد تدخل في مفردات اللغة هي اللغة المرئية من إشارات والإحياءات والرموز والوضعيات»¹². ترسم اللغة المرئية للجسد من خلال توظيف مفردات تدل على الحركة ويُقصد بذلك لابتغاء ما تريد له الشاعرة. صورة أخرى للجسد عند الشاعرة "عدالة عساسة" التي توظف الجسد الذكوري فتقول في قصيدتها "رجل عمومي":

كَانَ يُقْسِمُ بِالْحِنِّ
بِالْمِلْحِ الَّذِي سَنَأْكُلُهُ
بِالْعُرْفَةِ الَّتِي سَتَجْمَعُنَا
يَعِدُنِي أَنَّهُ سَيَغْلِقُ بَابَهَا ... أَجْفَانَهَا ... آذَانَهَا ...
يَفْتَحُ بَحْرَهُ ... قَلْبَهُ ... نَبْضَهُ ... عَلَى النَّافِذَةِ
يُقْسِمُ بِالَّذِي
لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا
عِنْدَمَا أَعْمَضَ عَيْنَيْهِ
قَلْبُهُ أَنْ لِسْقُوطِ
حَقًّا إِنَّهُ عَاشِقٌ
رَائِعٌ خَائِنٌ.¹³

تستعرض الشاعرة الجانب الذكوري الذي تراه هي من خلال تجسيد كم دور للرجل فتكتب في مقطع "يفتح... قلبه... نبضه" "أغمض عينيه" وكأنها تريد أن تكشف عن الآخر الذي يمثله الرجل، يمثل الشكل الغير اعتيادي في القصائد الشعرية النسائية حيث وضعت جسد الرجل موضوعاً للتكلم فيه واكتشاف ذات الآخر والدخول فيه.

أما الشاعرة نواصر نادية تكتب بلغة الجسد الذي تعتبره في قصيدتها "الوطن والوطن" الذي تمثل هي جزءاً منه، تقول:

بَكَيْتُ عَلَى وَطَنِ عَلَّمَ الزَّمَنَ لِلْقَادِمِينَ
إِلَيْهِ رَمُوهُ، بَكَيْتُ عَلَى وَطَنِ أَدْخَلَ الظِّلَّ

مِنْ هُوَّةِ الظِّلِّ كَيْ يَحْتَرِقَ شَعْبُهُ بِالرَّفَاهِ
بَكَيْثٌ عَلَى وَطَنِ
قَالَ لِلنَّارِ
يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا
وَمَا إِنَّ أَتَمَّ النَّدَاءَ اخْتَرَقَ... !¹⁴

من خلال هذه القصيدة يكون رمز الجسد هو الوطن الذي استعملته واقتبسته من القرآن الكريم في قولها: "يا نارُ كوني برداً وسلاماً" واستحضرت فيها قصة النبي إبراهيم عليه السلام وفي قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾¹⁵.

تقصد بالجسد جسد النبي إبراهيم الذي لم تلفحه النار وشبهته بالوطن هذا الوطن الجريد الذي ينزف وكأنها تنتظر معجزة إلهية ضمنته في قصيدتها لكي لا يحترق هذا الجسد أي الوطن. تعتبر الأعراف والتقاليد التي يفرضها المجتمع مستفزة لا سيما على المرأة والتي تعتبرها المرأة الجزائرية أو الشاعرات والأديبات حواجز لا بد من كسرها والتمرد عليها والتحرر منها جراء هذا الظلم الذي اتخذته الشاعرات قضيتها والتحرر والتعلم مستغلة في ذلك الجسد الذي يعتبر الحائل لتحقيق كينونتها وهو المَعْبَر الضيق لجأت إليه الشاعرة للعبور منه وكسر هذا الحائل الذي كانت مسجونة داخله والانفتاح على لغة تبرز حضورها.

في هذا السياق تستهزئ الشاعرة "زهرة بلعاليا" على نظرة مجتمعها للمرأة والذي لم يتطور:

فِي بِلَادِي
يَكْفِي أَنْ أَصْبَغَ وَجْهِي كَجِدَارٍ
مَا أَسْهَلَ أَنْ أَتَحَضَّرَ
وَأُلَطِّخَ شِفَاهِي بِالْأَخْمَرِ
لَكِنْ أَنْ أَصْبِحَ طِفْلاً رِيفٍ حُلْوَةً
تَسْرُخُ فِي ظَهْرِ
أَنْ أَصْبِحَ عَادِلَةً كَالشَّمْسِ
وَصَافِيَةً كَالْعِطْرِ
وَطَيِّبَةً كَالسُّكَّرِ¹⁶.

تعبّر الشاعرة عن سخطها لمجتمعها الذي ما زال ينظر إلى المرأة نظرة خارجية تعني بذلك محاصرة جسدياً دون اعتبار ما تحمله في داخلها واكتشاف جمالها الداخلي ومستواها "في بلادي، يكفي أن أصبغ وجهي كجدار" تعني بذلك يكفي وضع المساحيق التجميلية لتكون جميلة بنظر مجتمعها والذي يعتبر ذلك كفاية بالنسبة لمجتمعها وبأن تكون كطفلة ريف حلوة، تبدو لنا أنها وظفت كلمة الريف لقصدها المرأة المطيعة مغمضة العينين ذات مستوى ثقافي محدود فهي بالنسبة لمجتمعها البريئة التي لا تتور.

تجري كتابة النصوص الشعرية التي تعتمد على لغة الجسد فاختارت الشاعرات الجزائريات الكتابة الشعرية بلغة الجسد أرضيتها التي تركز عليها للتنفيس وتعتبر الجسد والرمز أو الدلالة المفتوحة التي تعتمد عليها للبوح عن مكبوتاتها ومكنوناتها، أما من الجهة الثانية تكون الإبداعات الشعرية التي تعتمد على الجسد للشاعر الجزائري المعاصر.

إن الكتابات الشعرية الرجالية التي تذكر الجسد هي مواضيع مختلفة وتنوعت بين الغربة والمرأة والموت. فيستقل الشاعر في تجربته الشعرية جمالية الجسد فحمل هذا المصطلح مهمات أخرى تحمل دلالات تأويلية ووظيفية متعددة ليشحن بها طاقاته التعبيرية ويجعل الجسد الهيكل الخارجي الذي به يتم جذب انتباه المتلقي أو القارئ.

سلم الشاعر الأخضر فلوس مختلف أجزاء الجسد الذي أصبح مرهوناً بذكر وطنه بلاده فيقول:

ثُمَّ هَا إِنَّ شَيْئاً يُسَمَّى بِلَاداً
لَهُ وَقَعَ سِلْسِلَةُ الْقَيْدِ فِي أُذُنِ الرُّوحِ
شَيْئاً بَغْضٍ كَأَخْجَارِ قَبْرِ عَلَى جِسْمِي الْكَهْلِ
مِنْ أَيْنَ آتَى إِلَيْهَا بِلَاداً
تُبْذِرُنِي مِثْلَ آخِرِ قِطْعَةٍ نَقْدٍ لَهَا فِي الْقِمَارِ
مَآذِنٌ مَغْمُوسَةٌ فِي دَمِي وَدَمِي
كَأَنَّ لُغْوِي عَلَى غَيْمَةِ الرُّوحِ مُتَكِيٌ
يَمُرُّونَ بَيْنِي وَبَيْنِي إِلَى التَّيِّهِ
ثُمَّ قَوْمٌ...¹⁷

اختار الشاعر الكتابة باللغة البلاغية المجاربة المكثفة وصلها بالجسد لتبعث حركة شعرية جمالية يظهرها في ذكر أجزاء الجسد الجسم "أذن الروح" "جسمي الكهل متكئ"، يبدو وكأن الشاعر أراد الكشف عن شخصيته وطريقة رؤيته لهذا الجانب.

أولى الشاعر عبد الله العشي موضوعه بلغة الجسد لأنه يمثل اللغة المتحركة والمتصورة وكشف نمط العلاقة التي تجمعها بوطنه يقول:

مُرِّي عَلَى جَسَدِي لِيَتَسَّعَ الْأَمْدُ
وَتَصِيرَ الْأَقْمَارُ أَجْنَحَةً

....

لِيَتَسَّعَ الْكَوَاكِبُ حَوْلَ ذَاكِرَتِي...
هَزُّ أَغْنَاقِ الْعَاشِقِينَ
قَمَرٌ تَسَاقَطَ فِي يَدِي

وَتَسَاقَطَتْ مِنْ رِزْقِهِ الْخُلُمُ السَّمَآوِي.¹⁸

وفي قصيدة أخرى له اسمها "من وراء الماء":

أَنَا جِئْتُ مِنْ مُدُنِ الْخُرَافَةِ...
 مُثْقَلًا بِحُطَامِ أَصْنَامِي
 فَتَفْتَحِي لِلْعَاشِقِ الْمُعْبَدِ
 مِنْ وَرَاءِ الْمَاءِ...
 بِدَدًا بِدَدًا
 فَلْتَفْتَحِي صَدْرَكَ
 لِلْعَاشِقِ الْمُجْهَدِ
 خَرَجْتُ مِنْ جَسَدِ الْفَجِيعَةِ
 أَعُودُ مِنْ ذَاتِي
 إِلَى ذَاتِي.¹⁹

عمد الشاعر استثمار الجسد بوصفه هوية خاصة من خلال لغة شعرية تربط وجينالوجيته بحمل المتخيل المرغوب ببلاغة التشكيل في حديثه عن رغبته برؤية وطنه في أمان ومودة وتظهر في مصطلحاته (مُري على جسدي ليتسع الأمد) وكأنه يرسم وطنه أنه أرض جسده في الفضاء بحيث يتخيل نفسه ووطنه والأقمار والقمر والكواكب ويعانق أرضه بلاده كعاشقين والعناق يخص الجسد ويذكر حلمه أنه لو يسقط أو يتحقق من زرقعة الحلم السماوي.

أما في القصيدة الثانية يمهد الشاعر لعودته إلى وطنه بعد جهد الغربة والشوق ويتمنى لو تفتح صدرها عند عودته من الغربة وهي صورة شبيهة بالعناق عند التقاء الأحبة بعد طول الغياب، ويتمنى أيضاً مواساته ليحكي مغامراته في قوله: "خرجت من جسد الفجيعة" وكأنه روح يخرج من جسد قد مات ويدخل إلى ذات حيّة، يكشف عنها الشاعر بتمثيله الجسدي داخل المتخيل الشعري وكأنه يتحرر ويولد من جديد.

في صياغة شعرية أخرى للشاعر رياض بن يوسف حيث أفاض في لغة الجسد في قصيدته "اللذة" يقول:

مِنْ سُلْسِ أَقْدَامِكَ... الْقَرَارَه؟
 وَيَسْتَنْدِلُ مَذَاقَاتِكَ... الْجَبَّارَه؟
 بَيْنَ أَسْوَارِ آنِيَةٍ
 سَوَى شَاعِرٍ مُجَرَّمٍ...
 يَصْفِدُكَ بِطِيلَسَانَ الْأَبْجَدِيَةِ...
 لِيَرْفُكَ إِلَى الْكَوْنِ
 قَصِيدَةً...
 تَفْتَرِسُ الْعَدَمَ؟؟²⁰

يقدم الشاعر الجسد عبر صور جزئية يجمع الحواس والأعضاء جمعاً ليجعل منه موضوعاً ينتهك أو يكسر من خلالها هاجس الثقافي المجرم والكتابة عن الجسد الأنثوي دون تحديد لكن بعلامات ورموز وهو يقرّ في

قصيدته بأنه يتجاوز الحدود ويقرّ بجُرمه في مقطع "شاعر مجرّم ليزفك إلى الكون قصيدة" ولعله يعني بذلك أنه أخرج قصيدته للعالم.

يرسم الشاعر سليمان جوادي الجسد الذي أنهكته الحياة الدنيا، جسد شاهد على مرور الزمن في عنوان "الكرسي المتحرك"، يقول:

إِنْحَنِ فَأُنْكَسِرَ
وَدَعَا رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ
وَلَمْ يَسْتَجِبْ فَكَفَرَ
هُوَ ذَا جَالِسٍ قُرْبَ مَنْزِلِهِ
فَوْقَ كُرْسِيِّهِ الْمُتَحَرِّكِ
يَطْرُدُ أَبْنَاءَ جِيرَانِهِ وَالذُّبَابَ
وَيَمِشُّ لِحْيَتَهُ بِأَصَابِعِهِ
كُلَّمَا عَبَّرَتْ قُرْبَهُ امْرَأَةٌ
يُدَقِّقُ النَّظَرَ فِيهَا.²¹

يبدو لنا من خلال لغة بسيطة اعتمدها الشاعر في قصيدته والتي يقدم الجسد ببعده الكلي رسم صورة الجسد لشيخ مقعد على الكرسي المتحرك لدلالة عجز المشي ويقدم وصف بعض التفاصيل يذكر: "ويمشك لحيته بأصابعه" هي صورة متحركة وكذلك صورة متحركة لجسد آخر: "كلما مرت قربه امرأة"، وصف وضع الجسد الأنثوي كلي وكذلك أجزاء من الجسد كالعينين "يدقق النظر فيها".

عبر تفاصيل دقيقة بسيطة يرسم لنا الشاعر صورة متحركة للجسد لوصف نموذج من نماذج المجتمع. يظهر الشعراء الجزائريون من خلال تجربتهم الشعرية لتحقيق الأفق التحرري في إبداعاتهم وتبنوا الجسد الجسم البشري وسيلة من وسائل أظهر الشعراء من خلالها رغباتهم وكذا فتح آفاق متجددة في لغة شعرية واعية.

الهوامش:

- 1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (جسد)، دار صادر، بيروت، المجلد 13، ط3، 1994، ص 121.
- 2 - دافيد لوبروتون، أنثروبولوجيا الجسد الحديثة، ص 11، مترجم عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1997، ص 11.
- 3 - فاطمة الوهبي، المكان الجسد والقصيدة، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2005، ص 31.
- 4 - ينظر مها مُجد حسين، العذرية والثقافة، دراسة في أنثروبولوجيا الجسد، دار للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2010، ص 41.
- 5 - مُجد الأخضر عبد القادر السائحي، ألحان من قلبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ط2، ص ص 13-14.
- 6 - صفى الرحمن المبارك نوري، الرحيق المختوم، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ط1، 1980، ص 13.
- 7 - نادية نواصر، زمن بلا ذاكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2007، ط1، ص 49.
- 8 - نادية نواصر، امرأة المسافات، اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، 2003، ص 43.
- 9 - حنين عمر، ديوان أبواب الجنة، ص ص 75-76.
- 10 - زينب الأعوج، رباعيات نوارا لهيلة، الفضاء الحر، ص ص 79، 80، 81، 87، 89.
- 11 - وسيلة بوسيس، أربعون وسيلة وغاية واحدة، سحب الطباعة الشعبية للجيش، د ط، الجزائر، 2007، ص ص 29-30.
- 12 - أمبرتو إيكو، السيميائيات وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة والتوزيع، الوحدة العربية، لبنان، ص 112.
- 13 - عدالة عساسلة، يوم إضافي للقيامة، اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، الجزائر، 2009، ص ص 142-143-145.
- 14 - نادية نواصر، أوجاع، اتحاد الكتاب الجزائريين، فرع عنابة، ط1، 2006، ص 33.
- 15 - سورة الأنبياء، الآية 69.
- 16 - زهرة بلعالي، ما لم أقله لك، منشورات أرتيستيك، الجزائر، ط1، 2007، ص ص 113-114.
- 17 - الأخضر فلوس، الأنهار الأخرى، منشورات أرتيستيك، الجزائر، ط1، 2007، ص ص 60-61.
- 18 - عبد الله العشي، ديوان مقام البوح، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص ص 41-43.
- 19 - المرجع نفسه، ص ص 48-49.
- 20 - رياض بن يوسف، ديوان على مشارف القصوى، الجزائر، دار الأمواج للنشر، 2005، ص 29.
- 21 - سليمان جوادي، قصائد للحزن وأخرى للحزن أيضاً، منشورات أرتيستيك، ط 2009، ص 125.

قائمة المصادر والمراجع :

- 01- ابن منظور، لسان العرب، مادة (جسد)، دار صادر، بيروت، المجلد 13، ط3، 1994.
- 02 - دافيد لوبروتون، أنثروبولوجيا الجسد الحديثة، ص 11، مترجم عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1997.
- 03- فاطمة الوهبي، المكان الجسد والقصيدة، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2005.
- 04- ينظر مها مُجد حسين، العذرية والثقافة، دراسة في أنثروبولوجيا الجسد، دار للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2010.
- 05- مُجد الأخضر عبد القادر السائحي، ألحان من قلبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 06- صفى الرحمن المبارك نوري، الرحيق المختوم، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ط1، 1980.
- 07- نادية نواصر، زمن بلا ذاكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2007.
- 08- وسيلة بوسيس، أربعون وسيلة وغاية واحدة، سحب الطباعة الشعبية للجيش، د ط، الجزائر، 2007.
- 09- أمبرتو إيكو، السيميائيات وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة والتوزيع، الوحدة العربية، لبنان، 1998.
- 10 - عدالة عساسلة، يوم إضافي للقيامة، اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، الجزائر، 2009.
- 11- نادية نواصر، أوجاع، اتحاد الكتاب الجزائريين، فرع عنابة، ط1، 2006.
- 12- زهرة بلعالي، ما لم أقله لك، منشورات أرتيستيك، الجزائر، ط1، 2007.
- 13- الأخضر فلوس، الأنهار الأخرى، منشورات أرتيستيك، الجزائر، ط1، 2007.
- 14- عبد الله العشي، ديوان مقام البوح، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- 15- رياض بن يوسف، ديوان على مشارف القصوى، الجزائر، دار الأمواج للنشر، 2005.
- 16- سليمان جوادي، قصائد للحزن وأخرى للحزن أيضاً، منشورات أرتيستيك، ط 2009.